الفصل الثالث

كتب النحو :

* نشـأة النحـو العربـي.
* دلالـة الصيغـة.
* فَعَلَ دالـة على الماضـي.
* فَعَلَ دالـة على الحاضـر.
* فَعَلَ دالـة على المستقبـل.

obeikandl.com

كتب النحو :

ارتبطت نشأة النحو العربي بالقرآن الكريم، اذ من أجله وضع أبو الأسود الدؤلي النواة الأولى لعلم النحو، ومن أجل دراسته والاقتراب من معانيه، شهد التاريخ الاسلامي، أول حركة لغوية كبرى تهدف الى توثيق الثروة اللغوية التي تضمنها القرآن الكريم ثم تفسيرها عن طريق التراث الشعري، والنثري الذي قام بجمعه ثلة من العلماء الثقاة الرواة، من أمثال الخليل

بن أحمد المتوفى سنة 175 ويونس بن حبيب المتوفى سنة 183هـ، والكسائي المتوفى سنة 189هـ." وهكذا نرى أن القرآن الكريم كان محورا لجميع الدراسات التي قامت في الاساس لخدمته، ومن بينها الدراسات اللغوية ولولاه لاندثرت اللغة العربية الفصحى، وأصبحت لغة أثرية تشبه اللاتينية أو السنسكريتية"(1).

وهكذا يجوز لنا أن نسجل مطمئنين أن النحو العربي، انما نشأ نحوا قرآنيا، وسيظل التراث النحوي المصدر الأول الذي يرجع اليه دارسو القرآن لذلك كان النحو العربي -بمفهومه الوظيفي الدلالي -أداتنا الاساسية في معالجة موضوع زمن الفعل في القرآن الكريم.

ولقد كان من اليسير علينا أن ننساق وراء ما ذهب اليه بعض النحاة المحدثين، وأغلب المستشرقين عند دراستهم لزمن الفعل فنحكم على قدامى النحاة بالقصور، والتقصير في دراسة الجانب الزمني للفعل، وأنهم تناولوه في

---

1 - فصول في فقه اللغة للدكتور رمضان عبدالتواب ص 115.

جانب ضيق محدود هو الزمن لذي يحدثه الفعل فيما يليه ...(1).

أقول : كان من اليسير علينا أن نفعل ذلك ولكن تقاليد البحث العلمي جعلتنا ننظر فيما تركه النحاة الأقدمون من دراسة للفعل في اطار تصورهم العام لبناء النحو كله، وهي دراسة نريد لها أن تمكننا من الوقوف على مبلغ توفيقهم في دراسة زمن الفعل وعندما نقف على أول تعريف في اللغة العربية نجد أنه يحدد الوظيفة الأساسية للفعل : "الإنباء على المسمّى" مما يعني أن الدلالة الزمنية عارضة على الفعل، وليست جوهرا فيه. فمن ذلك ما جاء في الدراسة التي ساقها ابن الأنباري وهو يعرض لسبب وضع النحو حيث يقول :

"وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم. وما روى أبو الأسود الدؤلي قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي عنه، فوجدت في يده رقعة .... الى أن يقول : ثم ألقي الى الرقعة، وفيها مكتوب : الكلام كله اسم، وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ على المسمى، والفعل ما أبنى به والحرف ما جاء لمعنى" (2).

وذلك أن التعبير عن الزمن في اللغة العربية موكول لصيغة الفعل، وللقرائن المختلفة التي تسبقه أو تلحقه، لذلك يعرف ابن الحاجب الفعل بأنه : ما دل بهيئته على أحد الأزمنة(3) الثلاثة، أي أن الدلالة على المعنى أو الأنباء عن الفاعل هي الوظيفة الاساسية للفعل، ثم تأتي الصيغة لتحدد الزمان، بل ان الصيغة قد تفقد قيمتها الزمنية عندما يندرج داخل الجملة

1 - انظر على سبيل المثال : اللغة لـ فندريس ص135 وفي النحو العربي وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي ص144 وما بعدها.....
وانظر مقالة د/تمام حسان عن اللغة العربية والحداثة في مجلة "فصول" العدد الثالث أبريل يونيه 1984. ومقالة محمود أمين العالم عن مفهوم الزمن في الفكر العربي الاسلامي حاضرا وماضيا مجلة 15هـ، 21م، تونس العدد 14، 1987 .
2 - نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص18.
3 – الكافية لابن الحاجب 223/2.

الشرطية اذ أن الزمن تحدده سلفا، أداة الشرط فالزمن عند النحاة الأوائل، ومن خلال التعريف المذكور لا يتحدد بالفعل وحده، وبعبارة أخرى فان الفعل يظل قاصرا عن تحديد الزمن ما لم تساعده قرائن أخرى، أو يقع في سياق معين، وقد رأينا في فصل آخر من هذا الباب أن الأصوليين قد أنكروا دلالة الفعل على الزمن لأن الزمن عندهم صادر من صيغة الفعل لا من مادته، ومن ذلك أن صيغة الفعل الماضي -مثلا- ربما لا يحمل زمنا على الاطلاق، وذلك عندما يعبر عن نواميس لا تتخلف، أو اذا عبر فيها عن عادة، أو عريزة أو ما الى ذلك.

وآية ذلك أن كلمة "دل" في قولنا : "الفعل ما دل على حدث وزمان" لا تحدد زمنا فهو فعل بمثابة منزلة صفة للموصوف، ومن ذلك الأمثلة في قولهم : "استنوق الجمل" و "الصيف ضيعت اللبن" و "بلغ السيل الزبى".

فالأفعال "استنوق" و "ضيع" و "بلغ" على الرغم من أنها جاءت على صيغة الماضي، فانها فقدت قيمتها الزمنية داخل سياق المثل. "لأن الأمثال ينبغي أن تؤخذ كما هي، وأي تعديل في صيغتها بالتقديم، أو التأخير، أو التبديل، أو الحذف، أو الزيادة يخرج مبناها من المثل الى جملة خبرية"(1).

وعلى أية حال، فان هذا التعريف المبكر، والمتميز (والذي لم يلتفت اليه أحد من الذين اهتموا بدراسة زمن الفعل) يقترب كثيرا مما ذهب اليه الفقهاء والنحاة المحدثون على نحو ما سنرى في هذا الفصل والفصل الذي يليه.

على أن سيبويه هو أول من جعل الفعل يقترن بالزمن ويقسمه الى ثلاثة أقسام : ماض، وحال، واستقبال حيث يقول :

"وأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما

1 - راجع الزمن في النحو العربي للدكتور كمال ابراهيم بدري : 139/137.

يكون. ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع" وهو كائن، اذا اخبرت(1). فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الاسماء، ولها أبنية كثيرة ولذلك نستخلص من تعريف سيبويه للفعل الاستنتاجات التالية :

1 - أن الفعل يدل بمادته على معنى المصدر (أي الحدث).

2 - أن صيغة الفعل هي التي تدل على الزمن، ولا تحدده كما توهم بعضهم.

3 - أن الازمنة ثلاثة : ماض، وحاضر، ومستقبل.

4 - أن بناء "فعل" دليل على أن الحدث وقع فيما مضى من الزمان.

5 - أن بناء "يفعل" يصلح للحال كما يصلح للاستقبال.

6 - أن بناء "افعل" ينصرف الى الاستعمال فقط.

وينبغي ألا يفهم من تقسيم سيبويه أن صيغة "فعل" تدل على الماضي فقط، وأن صيغة "يفعل" لا تدل الا على الحال أو الاستقبال، اذ يتضح من مؤدي هذا النص أنه يفرق بين التقسيم الصرفي، والتقسيم النحوي للفعل، وآية ذلك أنه يدرج الصيغ الفعلية في السياق ليتحدد منها بدقة يقول :

أما المستقيم الحسن، فقولك : أتيتك أمس وسآتيك غدا، وأما المحال : فان تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا، وسآتيك أمس.

1-الكتاب لسيبويه 12/1.

والشكل التالي يوضح كيف يعبر الفعل عن الزمن(1) :

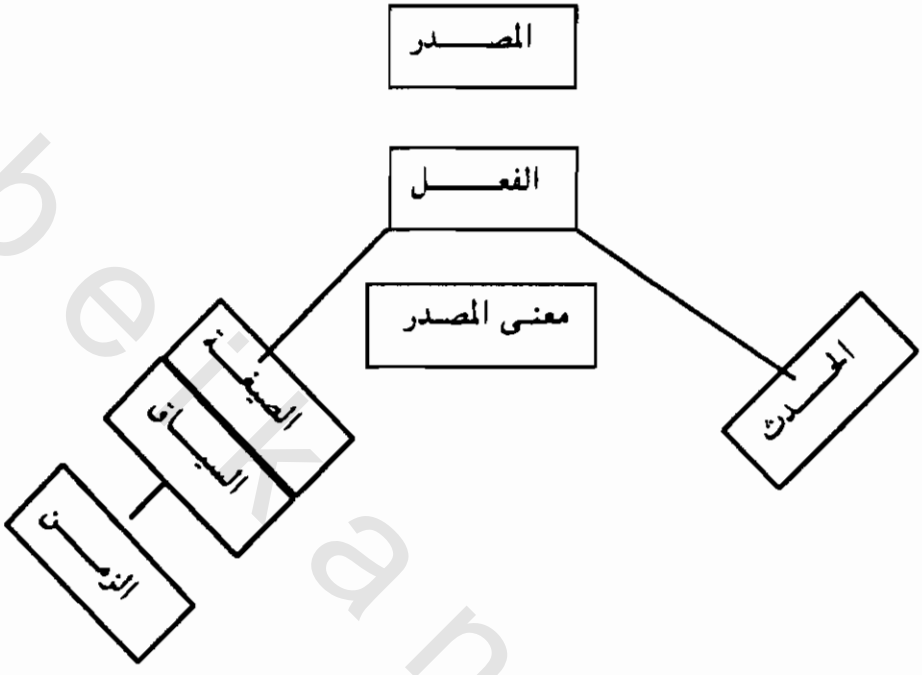

وبناء على ما قدمناه اشارة الى ارتباط الفعل بالقرينة والصيغة والسياق فسنحاول أن نعرض امكانات الصيغة الواحدة في التعبير عن أزمنة مختلفة.

أولا : فعـل :

أفردها معظم النحاة للدلالة على الزمن الماضي، وذلك باعتبار الوضع والأصالة، اذ الدلالة على الزمن هي الأساس الذي تنوع من أجله أي أن "فعل" تدل في صيغتها الافرادية على المضيّ، وتتلون بألوان زمنية عندما تندرج في السياق، أو تعتريها عوامل التبديل من زمن الى زمن آخر، كأدوات النصب، والجزم والشرط، وغيرها :

---

1 – الجدول مستوحى من الجداول المستعملة في : الزمن في النحو العربي لـ مالك يوسف المطلبي وأقسام الكلام في اللغة العربية لاسماعيل محمد الخطيب.

قال سيبويه : "أما بناء ما مضى : فذهب وسمع ومكث وحمد. ثم قال : ان الفعل يتعدى الى الزمان نحو قولك : ذهب لأنه بني لما مضى منه، وما لم يمض. فاذا قال ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان، واذا قال سيذهب، فانه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان"(1).

والكسائي، وابن فارس يريان أن الفعل ما دل على زمان كخرج يخرج، دلنا بهما على ماض، ومستقبل(2).

وقال الزمخشري : "الفعل الماضي : هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك"(3).

وقال ابن الحاجب : الفعل الماضي ما دل على زمان قبل زمانك(4)

أما أبو العباس المبرد فيذهب الى أن صيغة فعل وضعت أصلا للدلالة على الزمان الماضي المطلق. ويقول : أما بناء فعل وما كان في معناه لما مضى ... قلّت حروفه، أو كثرت نحو : ضرب وعلم، وكرم، وكل ما أحاط به من معنى فعل "وكذلك أن بنيته بناء ما لم يتم فاعله نحو ضرب ويخرج وسيخرج"(5)، فالنحاة متفقون على أن صيغة "فعل" إنما تدل بالاصالة على الزمن الماضي بصرف النظر عما يطرأ عليها من تفسير زمني من جراء دخول الأدوات عليها، أو عندما ندرج في سياق معين، وهي في كل هذه الاحوال خارجة عن الاصل الذي وضعت له والدليل على ذلك أن الكلام لا يستقيم في قولك : "أتيت غدا" باعتبار الغد ظرفا لما يستقبل من الزمان فان خرجت عن أصلها قبلت هذا الظرف تماما، كما تقبله صيغة "يفعل" اذ نستطيع أن نقـــول : ان خرجت غـدا،

---

1 - الكتاب 12/1, 35.

2 - الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها : 85.

3 - المفصـــل : 243.

4 - شرح الرضي على الكافية 224/2.

5 - المقتضب 2/2.

وجدت مبتغاك.

غير أن بعض الكتب النحوية المتأخرة قليلا، قد اهتمت بانصراف صيغة الماضي "فعل" عن الزمن الماضي الى الحال أو الاستقبال، فنهجت بذلك نهجا يوسع دائرة هذه الصيغة للتعبير عن عدة أزمنة فالرضي في شرح الكافية ينبه الى هذه الالتباسات التي تعرض لصيغة "فعل" عندما تدرج في السياق.

يقول : (قبل زمانك) : أي قبل زمان تلفظك به، لا على وجه الحكاية، وقولنا : لا على وجه الحكاية ليدخل فيه نحو : "خرجت" في قولك : «اليوم يقول زيد بعد غد خرجت أمس» فخرجت ماض، وان لم يدل ههنا على زمان قبل زمان تلفظك به لأنك حاك ... الى أن يقول : وأكثر ما يستعمل في الانشاء الايقاعي من أمثلة الفعل، هو الماضي نحو : بعت واشتريت ... أما دعاء نحو : رحمك الله، وأما أمر كقول علي رضي الله تعالى عنه. أجزأ امرؤ قوله وآسى أخاه(1).

وينصرف اليه أيضا بالاخبار عن المستقبل مع القصد بوقوعها كقوله تعالى: «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار» (الاعراف 44/7).

فالرضي يطرح قضية أساسية في موضوع زمن الفعل ذلك أن أية لغة مهما أوتيت من المرونة والاحاطة لن تستطيع أن تتابع جميع الاحوال الزمنية التي يؤديها، فاللغة تبقى عاجزة عن تصوير الازمنة الادبية، والفلسفية بالصيغ وحدها، سواء كانت هذه الصيغ مجردة أم مركبة، فالازمنة فيها تتموج، وتتداخل، وتتقاطع، ولا مناص من الاعتماد كما قلنا على القرائن والادوات، والسياق الذي يرد فيه الفعل وهذا هو شأن القاعدة اللغوية في جميع الألسنة اذ أنها ليست جامعة مانعة، ومثالنا على ذلك : فاعلية الفاعل، اذ نجد كثيرا

---

1 - شرح الرضي على الكافية 225/2.

من النماذج التي لا علاقة فيها للفاعل الاصطلاحي بالفعل الحقيقي، وكل ما في الأمر أنه يستند اليه الفعل على سبيل الوصف، والتلبس، بل اننا نجد أمثلة للفاعل الاصطلاحي يتضمن فيها معنى المفعولية، ومع ذلك فان هذا الفاعل يفقد مصداقيته، ولا يقفد وظيفته ويكون علينا في هذا الحال أن ننشد المعنى الحقيقي من الجو العام للنص وليس من بنائه النحوي (الصرفي).

ومع ذلك فقد حاول اللغويون القدامى والمحدثون أن يرصدوا الاقسام الزمنية التي تؤديها صيغة فعل كما رصدوا الاقسام الزمنية لـ "يفعل" على نحو ما سنبينه.

فمن المعاني التي تتضمنها صيغة فعل :

1 - الدلالة على أن الحدث وقع في زمن ماض مطلق، يستغرق الزمن الماضي كله، ويستوعب جميع مراحله القريبة والبعيدة، وذلك عندما تأتي هذه الصيغة ضمن قرينة اخبارية مثل قوله تعالى : «أنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر، ثم عبس وبسر»(المدثر 22/74) الآية. ومنه قول امرئ القيس (طويل) ويوم عقرت للعذارى مطيتي.

2 - وقوع الحدث في الماضي عدة مرات نحو وقولك : بزغ الفجر اتفق العلماء ..... الخ

3 - تاتي فعل للدلالة على الحال :

أ - اذا استعملت في الانشاء الايقاعي، نحو : "بعت" و "بعث" الانشائي وأبيع المقصود به الحال أن قولك : أبيع لابد له من بيع خارج حاصل بغير هذا اللفظ، نقصد بهذا اللفظ مطابقته لذلك الخارج فان حصلت المطابقة المقصودة، فالكلام صدق والا فهو كذب، فلهذا قيل : ان الخبر محتمل للصدق والكذب ... وأما بعت الانشائي فانه لا خارج له تقصد مطابقته، بل البيع يحصل في

الحال بهذا اللفظ، وهذا اللفظ موحد له، فلهذا قيل : ان الكلام الانشائي لا يحتمل الصدق، والكذب(1).

ب - اذا اقترنت بطرف يفيد الحال نحو : «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا»(الانفال66/8) ونحو قوله عز وجل : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي»(المائدة3/5).

جـ - تأتي للدلالة على استغراق الازمنة الثلاثة (الاستمرار التجددي) نحو قوله تعالى : «حرمت عليكم الميتة، والدم ولحم الخنزير»(المائدة ونحو قوله تعالى : «كتب عليكم القتال وهو كره لكم» (البقرة 216/2).

ينصرف "فعل" للاستقبال :

أ - الانشاء الطلبي ، وذلك في الدعاء نحو قوله تعالى : «رضي الله عنهم ورضوا عنه»(المائدة 119/5)، ونحو قولك : "رحمك الله"(2)

ب - اذا كان منفيا بـ "لا" و "ان" في جواب القسم مثل : "والله لا فعلت"، "والله ان فعلت" ونحو قوله تعالى : «ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده» (فاطر 41/35).

جـ - بدخول "ان" الشرطية، ومع أغلب الأدوات التي تتضمن معناها "لأن العرب قد تضع وفعلنا "في موضع" نفعل"(3) قال الشاعر قعنب بن ضمرة (بسيط) : ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني وما يسمعوا من صالح دفنوا، في موضع يطيروا، ويدفنوا(4).

---

1 - شرح الرضي على الكافية 225/2.
2 - انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك.
3 - مجاز القرآن لأبي عبيدة 139/2.
4 - المصدر نفسه 177/1.

وقال الله تعالى : "ولئن أتيت الذين أوتو الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك" (البقرة 145/2) الآية.

أجيبت "لئن" بما يجاب به "لو" ولو في المعنى ماضية ولئن مستقبلية : ولكن الفعل ظهر فيهما بـ "فعل" فأجيبتا بجواب واحد وشبهت كل واحدة منها بصاحبتها(1).

د - مع "ما" النائبة عن الظرف نحو قوله تعالى : «فأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض» (هود 107/11)

هـ - اذا وقعت في سياق اخبار عن الأمور المستقبلة مع قصد القطع بوقوعها، مثل قوله تعالى : «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار» (الاعراف 44/7) ونحو قوله تعالى «وسيق اللذين اتقوا ربهم، الى الجنة زمرا» (الزمر 71/26) قال الرضي : والعلة في الموضعين أنه من حيث ارادة المتكلم لوقوع الفعل قطعا، كأنه وقع، ومضى ثم هو يخبر عنه(2)

يحتمل المضي والاستقبال بعد :

أ - همزة التسوية لأنها تتضمن معنى الشرط عند أغلب النحاة نحو : سواء على، أقمت، أم قعدت، لأنها تفيد ما كان منك من قيام أو قعود، أو ما يكون منك من قيام أو قعود على أنه اذا كان الفعل بعد "أم" مقرونا بـ "لم" تعين الماضي : «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (البقرة 6/2) لأن الثاني ماضي معنى، فوجب مضي الأول، لأنه معاد له(3).

قال سيبويه : وذلك قوله: «سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون»

---

1 - معاني القرآن للفراء 84/1.
2 - شرح الكافية 225/2.
3 - التسهيل لابن مالك وهمع الهوامع للسيوطي 9/1.

(الأعراف 193/7) بمنزلة أم صمتم، وكذلك قوله تعالى : «استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم(1) (المنافقون6/63) وقال الفراء وقوله «سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ولم يقل أم صمتم، وعلى هذا أكثر كلام العرب(2).

ب - مع كلما : أما دلالتها على الاستقبال، فتكون مع افادة الشرط معها في قوله تعالى : «كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا» (البقرة 25/2)، اذ تحتمل "كلما" في هذه الآية معنى الماضي كما تحتمل الاستقبال، وربما أفادت الاستمرار غير المقيد بجهة زمنية، فهي تفيد كل وقت(3)، وقد أفادت الاستقبال في قوله تعالى : «كلما نضجت جلودهم بدلنا هم جلودا غيرها» (النساء 56/4).

جـ - مع حيث فهي تدل على الماضي في قوله تعالى : «فأتوهن من حيث أمركم الله» (البقرة 222/2) وتدل على الاستقبال في قوله : «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام»(البقرة 149/2)، أما قوله تعالى : «واقتلوهم حيث ثقفتموهم» (البقرة191/2)، فنقف ههنا على زمن حل أو حزم ويلزم منه عموم الأزمان(4).

د - يعد حرف التخصيص نحو قوله تعالى : «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية»(هود116/11) قد يبين الفراء أن هذا التركيب يفيد المضي، كما يفيد الاستقبال فمن دلالته على المضي الآية السابقة لأنها في معنى : «لم يكن أحد منهم كذلك قليلا، أي هؤلاء كانوا ينهون فنجوا(5)»، ومن دلالته على الاستقبال قوله تعالى :

---

1 - الكتاب (هارون 64/3.
2 - معاني القرآن للفراء 401/1.
3 - الاتقان للسيوطي 261/2.
4 - تفسير البحر لابن حيان ح /66.
5 - معاني القرآن 30/2.

«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة»(التوبة122/9) اذ جاءت الآية في معنى الأمر"أي لينفر(1).

هـ - اذا وقع الفعل صلة لموصول عام مبتدأ، فمثال وقوعه ماضيا قوله تعالى:«الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» (آل عمران 173/3)

ومثال دلالته على الاستقبال قوله تعالى : «الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم» (المائدة 24/5).

و - اذا وقع صفة لنكرة عامة، يحتمل الدلالة على الماضي كما يحتمل الدلالة على الاستقبال، نحو قوله صلى الله عليه وسلم : "نظر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها(2)

فعل مسبوقة بـ "قد"

قد تستعمل لتقريب الماضي من الحال عند بعض النحاة تقول : قام زيد، فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد فاذا قلت قد قام زيد، اختص بالقريب، وقد ذهب البصريون الى أن "قد" تدخل على الماضي الواقع حالا، سواء كانت ظاهرة في نحو قوله تعالى : «وقد اخرجنا من ديارنا» (البقرة 246/2) أم مقدرة في نحو قوله تعالى : «وجاؤوكم حصرت صدورهم»(3) (النساء /90 4).

ويبدو أن بعض النحاة قد فهم من قول سيبويه : «اذا قلت قد فعل، فان نفيه لما يفعل" وقوله في موضع آخر وأما "قد" فجواب لقوله "لمل يفعل" قلت :

---

1 - معاني القرآن 30/2.
2 - همع الهوامع للسيوطي 9/1.
3 - الانصاف لابن الأنباري 252/1-253.

فهموا من هذين العبارتين، أنه قد عمم دلالة "قد" على الماضي القريب من الحال، والحقيقة ان سيبويه لم يحصر المركب "قد فعل" في هذه الدلالة الزمنية، اذ بين في موضع آخر ان "قد فعل" يدل على زمن ماض فحسب يقول : "ألا ترى أن قولك قد ذهب بمنزلة قولك، قد كان منه ذهاب(1)، وعلى ذلك فإن "قد" مع فعل لا يختص بالماضي القريب، أو الماضي المنتهى بالحاضر فحسب، ولقد استقرأ الاستاذ حامد عبدالقادر بعض معاني "قد" في القرآن الكريم، وانتهى الى أنها كثيرا ما تفيد الماضي المؤكد(2)، مثل قوله تعالى : «يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك»(النساء153/4)، وقوله تعالى : «ولقد آتينا موسى تسع ايات بينات»(الاعراف 101/7)، وقوله عز وجل «لقد جئتم شيئا ادا»(مريم /89 19)، وقوله تعالى «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» (الاحزاب/21 33) يقول الدكتور مهدي المخزومي : ألحقت العربية "قد" ببناء "فعل" ليدل المركب على معنى زائد على ما يدل عليه البناء المطلق نفسه، حين تأكيد وقوع الحدث وازالة الشك في وقوعه لكن لهذا المركب في الاستعمال دلالات أخرى غير ما ذكرت، وهي الدلالة على وقع الحدث في زمن قريب من الماضي(3)

ما فعل

في مثل قوله : «ماأغنى عنه ماله وما كسب» (المسند 2/111) وهي عند ابن هشام تشابه "لم" في دلالتها على النفي والزمن الماضي(4) أي أن "ما فعل" و "لم يفعل" يتوافقان دلاليا، وتستفاد هذه الدلالة الزمنية الواحدة للتركيبين من خلال الأمثلة التي ضربها سيبويه في هذا الباب : "يقول الرجل :

1- الكتاب (هارون) 117/3.

2 - مقالة للدكتور حامد عبدالقادر مجلة المجمع اللغوي : جـ 10.

3 - في النحو العربي نقد وتوجيه - 150.

4 - معنى اللبيب عن كتب الأعاريب 315/1.

(أتاني رجل) يريد واحدا في العدد فيقال : (ما أتاك أحد) صار نفيا عاما لهذا كله(1).

ولكن النحاة المحدثين يميلون الى أن النفي بـ "لم" آكد من النفي بـ "ما"(2). ويترجح بذلك استواء "ما" و "لم" في الدلالة على زمن ماض غير محدد، من ذلك قوله تعالى : «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى»(الانفال 17/8) ومنه قوله تعالى : «ولقد بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفو حتى جاءهم العلم» (يونس 93/10) وقد لاحظ ابن هشام أن هناك ضربا من هذا التركيب لا يدل على زمن محدد مثل قوله تعالى : «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا»(مريم 31/19)، وقوله تعالى : ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت»(هود 88/11) وقوله عز وجل : «فاتقوا الله ما استطعتم»(ابراهيم 16/14) وما هنا ليست للنفي، وانما هي في حكم الأداة الظرفية الدالة على استغراق الزمن للفعل، لذلك سماها ابن هشام "ما" الزمانية(3).

كان فعل

يكاد يتفق النحاة المحدثون على أن "كان" في هذا التركيب تدل على زمن أبعد في المضي من "فعل" فهو تركيب يختلف اذن عن الماضي العادي، فقولنا : كتب الطالب تدل فيه "كتب" على أن الفعل ماض بسيط وقع في مرحلة زمنية متقدمة وكفى، أما قولنا : (كان كتب) فان هذا التركيب يدل على أن الكتابة وقعت قبل الزمن الذي نتحدث عنه ومثال ذلك قولنا : (القطار كان انطلق عندما بلغت المحطة) ولقد وردت ايات كثيرة بهذا التركيب، وبالدلالة الزمنية نفسها قال تعالى : «فلولا كانت قرية آمنت»(يونس 98/10)

1 - الكتاب (هارون) 55/1.
2 - أساليب النفي في القرآن لأحمد ماهر البقري 114/112.
3 - المغنى 315/1 وما بعدها.

فالتركيب المكون من "كان" و "آمن" يفيد زمنا ماضيا أبعد من زمن آخر، يفهم من سياق الآية نفسها، ومنه قوله تعالى : «وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر»(القمر 14/5)، إذ لما كان الكفر قد حدث قبل النجاة، فقد عبر عنه بصيغة الماضي البعيد المكونة من فعلين : هما ماضي فعل الكينونة وهو "كان" والفعل المراد التعبير عنه في صيغة الماضي وهوكفر(1) ومنه قوله تعالى : «ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل»(الاحزاب 15/33).

إن كان فعل

يلاحظ أن "كان فعل" جاءت هنا في سياق شرطي ومسبوقة بالأداة "إن" التي تصرف الماضي الى الاستقبال الا أن "كان" في هذا السياق تتمرد على ما ذهب اليه النحاة من اختصاصها بالمضي، وتحتفظ بدلالة زمنية خاصة فلا هي دالة على الماضي البعيد، كما رأينا عندما كانت مجردة، ولا هي دالة على الاستقبال لاختصاصها بالمضي دون غيره.

ولقد اضطرب النحاة في هذا التركيب اضطرابا كبيرا اذ أنهم يذهبون الى أن "إن" تقلب الفعل الماضي،... الى المستقبل قلت : اضطربوا في ذلك لأن هذا التركيب يتضمن، أداتين مختلفتين، ومتضادتين في الاتجاه الزمني "فكان" تدخل على "فَعَلَ" أو يفعل، فتعطيهما معنى المضي و "إن" تدخل على التركيب "كان فعل" فتقلب معناه الى المستقبل.

لذلك نظر الفراء الى هذا التركيب، فألغى "كان" في المعنى وجعلها زائدة، أي أنه أعطى الغلبة لمعنى الشرط وزمن الاستقبال ... لأنك تقول : ان كنـــت

---

1 - معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم للأستاذ حامد عبدالقادر مجلة مجمع اللغة العربية ج10.

عطيني سألتك فيكون كقولك : إن أعطيتني سألتك(1).

أما المبرد، فيرى أن "إن" تقلب الماضي الى الاستقبال الا كان وحدها، فان أن لاتقلب ماضيها الى معنى الاستقبال ... لأنها كانها أصل في الافعال الماضية، فلم تقو "إن" على قلبها(2).

ويتابع الصّبان الفراء في رأيه الملغي لأثر "كان" الزمني فيقول : "إن أدوات الشرط تقلب الماضي الى الاستقبال سواء في ذلك كان أم غيرها على الأصح(3).

أما الرضي الذي اهتم بالجوانب الزمنية في التراكيب فلم يفته أن ينبه الى أن كان للشرط في المضي(4)، وهو رأى تأيده وتوضحه كثير من الشواهد القرآنية، مثل قوله تعالى : «ان كنت قلته فقد علمته»(المائدة 116/5)، ولانريد أن نقول بما ذهب اليه الفراء من أن "كان" مبعدة في المعنى الزمني، ولكننا نقول : ان "ان كان" هنا تعطي بعدا زمنيا خاصا لصيغة "فعل" فهو يشير الى حدوث الفعل الأول في وقت أبعد في المضي من جواب الشرط.

وبعبارة أخرى : ان جواب الشرط ههنا يترتب على فعل أنقضى وانتهى أمره في هذا التركيب نحو قوله تعالى «قل ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله تعالى فعلى الله توكلت»(يونس 71/10)، أي وقر في أنفسهم هذا الأمر قبل مخاطبة سيدنا نوح لكهم ومنه «وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض»(الانعام 35/6).

«وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا

---

1 - معاني القرآن 5/2, 6).
2 - الأصول لابن السراج 199/2.
3 - حاشية الصبان 16/4.
4 - شرح الرضي على الكافية 165/2.

فاصبروا »(الاعراف81/7).

«وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين»(يوسف 27/12) وليس يخفى أن الشاهد هنا.

يتحدث عن حادثة وقعت فعلا في وقت مضي، اذ قدّ القميص مرتبط بالتهمة التي وجهت لسيدنا يوسف عليه السلام في وقت أسبق.

صيغة يفعل

تتميز صيغة "يفعل" بأن وجهتها الزمنية تتأثر في جانب كبير منها بالحركة الاعرابية بخلاف صيغة "فعل" التي تبنى على حركة واحدة، ويتحدد زمنها بالسياق أو بالقرينة التي تسبقه، أو تلحقه، وقد أشار سيبويه الى هذه العلاقة بين "يفعل"، والزمن يقول : فلو قلت اذن أظنك تريد أن تخبره أن ظنك سيقع لنُصب، وتقول اذا حدثت بالحديث اذن أظنه فاعـــلا، واذن إخالك كاذبا، وذلك لأنك تخبر أنه تلك الساعة في حالة ظن وخيله، فخرجت من باب أن لأن الفعل لم يجز ذا في أخواتها التي تشبه بها جعلت بمنزلة "انما"(1)، ويعدد ابن مالك الأدوات التي تحدد زمن المضارع بما في ذلك العاملة التي تكون فيها الحركة الاعرابية علامة على وجهه زمنية معينة، يقول : "والأمر مستقل أبدا، والمضارع صالح له وللحال، ويتخلص الاستقبال بظرف مستقبل، وباسناد الى متوقع، وباقتضائه طلبا، أو وعد أو بمصاحبة ناصب أو أداة ترج، أو اشفاق، أو مجازاة، أو لو المصدرية، أو نون التوكيد وينصرف الى المضي بلم ولما الجازمة ولو الشرطية غالبا(2).

---

1 - كتاب سيبويه 16,15/3.

2 - التسهيل ص5,4 الكتاب 117/3 والصاحبي لابن فارس 255.

"يفعل" دالة على الزمن الماضي

1 - مع "لم" و "لما" ينقلب من الفعل المضارع الى الماضي مع هذين الأداتين مع فرق في المدى الزمني بينهما لأن "لم" تنفي الفعل في الزمن الماضي مطلقا و "لما" النافية في الزمن الماضي المستمر الى زمن التحدث(1) ويرى بعض النحاة أن "يفعل" مع "لم" تركيب يدل على الزمن الماضي ويستمر معناه الى الحال،، فمثال المستمر قوله تعالى : «قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد»(سورة الاخلاص 3,2,1/112).

وهذا التركيب يحتمل اتصال الزمن كما يحتمل انقطاعه فمثال الاتصال قوله تعالى على لسان النبي زكريا عليه السلام «ولم أكن بدعائك رب شقيا»(مريم 4/19).

ودليلهم في ذلك أنه يجوز ذلك أن تقول لم يكون ثم كان، ولا تقول ذلك في لما مع يفعل.

أمّا "لما" فهي نفي للماضي المتصل بالحال في أغلب أقوال النحاة، وفي أغلب استعمالاتها مثل قوله تعالى : «ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم»(البقرة 142/2) وقوله عز وجل «ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم»(البقرة 214/2) وقوله تعالى «قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» (الحجرات 14/49) ونحو قول الشاعر...

ان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فأدركني ولّما أمـزّق(2)

2 - مع، اذ

"اذ يفعل" تركيب يدل على الزمن الماضي عند اغلب النحـــاة "واذا فيمـــا

1 - الجني الداني في حروف المعاني بلمرادي : 268.
2 - انظر حاشية الخضري 120/2 والمغني 278/1, 279.

يستقبل بمنزلة اذ فيما مضى "اذ" اسم للزمن الماضي وهو الغالب... ولا يكون الا ظرفا(1) نحو قوله تعالى : «واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك»(الاحزاب37/33) ونحو قوله تعالى «ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العزاب أن القوة لله جميعا»(البقرة165/2).

يفعل خبرا لكان

تدل "يفعل" اذا كانت مسبوقة بـ "كان" على أن الحدث كان مستمرا في الزمن الماضي(2). قال القراء، كان، انما خلقت للماضي(3). من ذلك قوله تعالى : «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه»(المائدة 79/5) وقوله تعالى «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»(الاحقاق 34/46) قال الأخفش الأوسط وهو يفسر قوله تعالى «ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون» "أدخل كان ليخبر أنه فيما مضى ويضيف الدكتور مالك يوسف المطلى أن "كان" في الاستعمال القرآني، تفيد الاستمرار في الماضي، فيما يكون عادة أو يكون حالة عامة(4) نحو قوله تعالى «بما كنتم تعملون» والمائدة 105/5). وقوله «كنتم توعدون» (الانبياء 103/21).

كاد يفعل

ان تحليل المركب "كاد يفعل" خصوصا في القرآن الكريم يفضى الى أن هذا المركب يفيد اقتراب وقوع الفعل كما يقول الجرجاني(5). من ذلك قوله تعالى «ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لو أن صَبَرْنا عليها»(الفرقان 42/25) وقوله عز وجل «ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها»(القصص 10/28).

---

1 - الاتقان 146/1، والجنى الداني في حروف المعاني 188,187.
2 - الفعل زمانه وأبنيته للدكتور ابراهيم السامرائي : 30.
3 - معاني القرآن 180/1.
4 - معاني القرآن : 27 والزمن واللغة 248.
5 - دلائل الاعجاز، 252.

ولكنها عندما تأتي منفية تأتي اثباتا لوقع الفعل في نحو قوله تعالى : «فذبحوها وما كادوا يفعلون»(البقرة 71/2). أي أنهم هموا بألا يذبحوها، أو هموا بعد لأي ومجاهدة(1) للنفس.

يفعل في الحاضر

يلزم الفعل المضارع "يفعل" الزمن الحاضر في الغالب اذا كان مجردا من أية علامة، أو قرينة خاصة بالاستقبال. وهذا مذهب كثير من قدامى النحاة وبعض النحاة المحدثين(2) وقد وردت هذه الصيغة معبرة عن الحال في سور كثيرة من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى : «ودخل معه السجن فتيان، قال أحدهما اني أراني أعصر خمر، وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه»(يوسف 36/12) وقوله تعالى «قال رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه»(يوسف 32/12) وقوله عز وجل : «اني أخاف أن يبدل دينكم»(غافر 26/40) وقد تأتي "يفعل" في القرآن الكريم حاكيه للحال، وكان المخاطب موجودا في ذلك الزمن الماضي. من ذلك قوله تعالى : «وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين»(الكهف 17/18) ومنه قوله تعالى : «اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا»(التوبة 40/9) وقد تجرد يفعل من قرائن زمن الاستقبال للدلالة على :

1 - حقيقة ثابتة نحو «تدور الأرض حول الشمش» حيث الفعل عار من الزمن في هذا المثال. ومنه قوله تعالى «يولج الليل في النهار»(الحج 61/22).

2 - أن الحدث لايقع في زمن خاص نحو قوله تعالى «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة»(البقرة 2/2). وقوله تعالى «ان الله اشتـــرى من المؤمنـــين

---

1 - البحر المحيط لأبي حيان 396/4, 258/1.

2 - انظر على سبيل المثال : الأصول في النحو لابن السراج 4/1 والتسهيل لابن مالك 50. والزمن في النحو العربي للدكتور كمال بدري : 186 وما بعدها.

أتعسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون».

3 - عن حقيقة علمية نحو : يرفع الفاعل وينصب المفعول(1)

يفعل دالة على الاستقبال

ينصرف "يفعل" للزمن المستقبل بالأدوات التالية :

1- مع أدوات نصب المضارع نحو قوله تعالى «فان لم تفعلوا ولن تفعلوا»(البقرة24/2). وقوله تعالى : «أني أريد أن أنكحك احدى ابنتي»(القصص 27/28)، وقوله عز وجل «لن نبرح عليه عاكفين» (طه /91 20) وقوله تعالى : «وما كان المؤمنون لينفروا كافة»(التوبة 122/9)

قال سيبويه : اعلم أن هذه الافعال (المضارعة) لها حروف تعمل فيها فتنصبها ويكون الفعل بعدها غير واقع وليس في حال حديثك(2).

ويقول ابن مالك : يخلص المضارع للاستقبال بظرف مستقبل وباسناد الى متوقع، وبمصاحبة ناصب(3).

2- مع أدوات التخصيص مثل : هلا، لولا، لوما، ألا، تصرف المضارع للاستقبال "كما تضمنته هذه الادوات من معاني التخصيص، والحث(4) من ذلك قوله تعالى : «ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون»(الحجر 7/15).

---

1 - يراجع في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي 276 والفعل زمانه وأبنيته للدكتور ابراهيم السامرائي 32-33 و :

Dictionnaire de Linguistique, Jean du Bois et autres, Librairie - LAROUSSE 1974.

L'archite. Otonique du temps dans les langues classique Page 11-17. -

2 - الكتاب 16, 5/3.

3 - التسهيل لابن مالك : 5.

4 - الكتاب 35/3.

3- مع خبر متوقع حدوثه في المستقبل.

وذلك من خلال قرينة توحي بانتظار الوقوع في مثل قوله تعالى «ومن يعمل من الصالحات من ذكرا وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة»(النساء /124 94) ونحو قوله عز وجل «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها»(النحل /111 16) وكذلك اذا استند الى ظرف مستقبل كغد وما في معناها(1).

4- مع الأمر أو الطلب أو ما في معناهما.

فمثال الأمر قوله تعالى «فبذلك فليفرحوا»(يونس 58/10) قال سيبويه فان أردت أن تجعل هذا الفعل أمرا اذا دخلت اللام وذلك قولك انته فليحدثك(2) ومثال النهى، قوله تعالى «لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب»(طه 61/20).

5- مع نوني التوكيـــد

يتخلص "يفعل" للاستقبال، اذ اقترن بنوني التوكيد سواء كانا خفيفين، أم ثقيلين، قال الرضى ويتخلص المضارع للاستقبال بنوني التوكيد، ولام القسم اذا لثلاثة توكيد، فمثال نون التوكيد الثقيلة قوله تعالى : «كلا لينبذن في الحطمة»(الهمزة 4/104) ومثال الخفيفة قوله تعالى «كلا لتسفعا بالنّاصيّة»(العلق 15/96) ولذلك لا يلحق نونا التوكيد "الا المضارع الخالي من حرف التنفيس(3) باعتبار أنهما أداتا تعبير عن المستقبل. ولقد ذهب مصطفى المشويي الى أن المضارع الملحق بنون التوكيد في قوله تعالى : «لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا»(طه 97/20) للمستقبـــل القـريب(4)

---

1 - التسهيل : 5. والمغني 172/1.

2 - الكتاب 35/3.

3 - شرح الكافية 231/2 والتسهيل لابن مالك : 216.

4 - Le verbe dans le Coran- par Mustapha Chouemi P.85.

مستأنسا في ذلك -فيما يبدو- بشرح المفسرين العام لموضوع هذه الآية(1).

6- مع الأدوات الدالة على التمني والترجي.

فالتمنّى، في نحو قوله تعالى : «يا ليتنا نُردّ» (الانعام 27/6)، وقوله تعالى : «يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما» (النساء 73/4). ومثال الترجي قوله تعالى : «فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» (البقرة /216 2) وقوله تعالى : «وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيراً» (النساء 19/4). وقوله عز وجل : «يا ها مان ابن لي صرحا لعلّي أبلغ الاسباب أسباب السموات» (غافر 36/40)(2).

7- مع أدوات الشرط

جملة الشرط تركيب يتكون من الأداة، وجملة الشرط، وجواب الشرط، والأداة هي التي تصرف المضارع الى الاستقبال، كما تصرف الماضي الى الاستقبال(3) أو النقل، وهي تلعب دورا أساسيا في ذلك باعتبار ما للسياق من دور هام في توجيه المعنى الزمني وتوضيحه. وتقل صيغ المضارع التي تصرفها أداة الشرط الى الاستقبال في القرآن الكريم، بينما نطرد فيه دلالاتها الزمنية العامة ومن صيغ "يفعل" تحولت للاستقبال قوله عز وجل : «وإن تطيعوه تهتدوا» (النور 54/24) وقوله تعالى «ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم فيها خاضعين» (الشعراء 4/26) وقوله تعالى : «وإلا تصرف عني كيدهن أصْبُ اليهن وأكن من الجاهلين» (يوسف 33/12). ووجه الكلام -كما ظن النحاة- أن تدخل أداة الشرط على فعلين مضارعين، لأن المضارع أقرب للاستقبال من الماضي، فاذا قلت " أن تفعل" فأحسن الكلام أن

---

1 - انظر على سبيل المثال. البحر المحيط لابن حيان 276/6.
2 - وانظر التسهيل 59 والمغني 276,151/1.
3 - المصدر نفسه 271,22/1.

يكون الجواب "افعل"(1) ولكن رصد التراكيب الشرطية في القرآن الكريم لا ينتهي الى ما ذهبوا اليه اذ أن أغلب الافعال المضارعة الموالية لأداة الشرط في القرآن الكريم كما قلنا تدل على زمن عام يستغرق الأزمنة الثلاثة، بل إن بعض الأفعال المضارعة الشرطية في القرآن الكريم نجدها أدخل في الزمن الماضي منها الى الحال، أو الاستقبال مثل قوله تعالى : «ان لم تفعلوا ولن تفعلوا» (البقرة 24/2) وقوله تعالى : «ان يمسسكم قرح فقد فقد مس القوم قرح مثله» (آل عمران 140/3) وقوله تعالى : «إلا تنصروه فقد نصره الله» (التوبة 40/9) وقوله أيضا : «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل» (يوسف 77/12) اذ يكاد يتفق المفسرون على أنها أفعال ماضية المدلول قال الزمخشري وهو يشرح الآية : «الا تنصروه فقد نصره الله جوابا للشرط. قلت فيه وجهان : أحدهما : الا تنصروه فينصره الله من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد..... الثاني أنه أوجب له النصرة، وجعله منصورا في ذلك الوقت(2) فلن يخذله من بعده ولقد حاول النحاة تقدير جواب للشرط يوائم ما تواتر عليه من أن أداة الشرط تقلب الماضي والمضارع الى الاستقبال(3).

ولكن السياق الذي وردت فيه هذه الايات لا تسمح بنقل أفعالها من مضيّها الواضح.

غير أننا نجد أن بعض النحاة المحدثين أنكر أن يكون الفعل الشرط دلالة على معنى الاستقبال أو على غيره وقوله : ولاعبرة بما يدعيه النحاة من دلالة فعل الشرط على معنى الاستقبال فانهم انما استنتجوه ... من كون الفعلين معلق أحدهما على الآخر. والتعليق في ظاهرة أمر يدل على عدم الوقـــوع ..

1 - كتاب 91/3 ومعاني القرآن للفراء 58/1 والتعبير الزمني عند النحاة العرب للدكتور بوخلخال. 98/1.

2 - الكشـاف للزمخشري 190/2.

3 - راجع آراء النحاة والمفسرين في الدلالة الزمنية للتركيب الشرطي في أساليب الشرط في القرآن الكريم للدكتور عبدالله محمد آدم 246-251.

والفرق واضح بين قولك، أريد أن أزورك في دلالته على معنى الاستقبال وقولك أن تزرني أزرك في أن الفعلين ليس مخبرا بهما عن الوقوع في أي من الأزمنة(1).

والخلاصة : أن الأدوات الشرطية لا تحدد زمن الفعل تحديدا ما فقد يدل الفعل معها على المضي، وهو مضارع، وقد يبقى على مضيه وقد يصرف الى الاستقبال كل ذلك يتحقق وفق السياق الذي يرد فيه هذا التركيب. أما ان التركيب الشرطي خلو من الزمان لأن أفعالها خالية من الأحداث(2) فاستنتاج خارج عن نطاق اللغة وبعيد عن طبيعتها، وتتضح التأثيرات الزمنية لأداة الشرط في تنوع الزمن داخل الجملة الشرطية ولوكانت الجملة الشرطية خالية من الزمن لما شعرنا بهذا التنوع(3).

مع ادوات النفي والنهي

يخلص المضارع للاستقبال أحد حروف النفي عند أغلب النحاة قال المبرد وهو يتكلم على "ما" النافية "اذا وقعت على فعل نفيه مستقلا"(4). على أن أداة النفي "ما" غير مختصة بالاستقبال وحده. فقد تدخل على الحال في قوله تعالى: « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم» (الأحقاف 9/46) وأدوات النفي كلها غير مختصة بالاستقبال، لذلك كان لها أكثر من علامة(5).

ومن الشواهد القرآنية التي جاء النفي فيها مستقلا قوله تعالى : «ولا يتمنّونهُ أبداً بما قدّمت أيديهم» (البقرة 95/2) »ولا أعصي لك أمرا» (الكهف 69/18).

---

1 - نحو الفعل لأحمد عبدالستار الجواري : 52.
2 - في النحو العربي للدكتور مهدي المخزومي : 29.
3 - التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر للدكتور مالك يوسف المطلبي : 421.
4 - المقتضب 155/1.
5 - في الزمن في النحو العربي للدكتور كمال بدري : 168.

وكما يتعين المضارع للاستقبال مع أدوات النهي في نحو قوله تعالى : «لا يتخذ المؤمنون الكافرون أولياء من دون المؤمنين» (النساء 144/4).

وقوله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم» (المنافقون 9/63). قال السيوطي : الوجه الثاني أن يكون لطلب الترك فتختص بالمضارع، وتقضي جزمه، واستقباله سواء كان نهيا نحو : «لا تتّخذوا عدوّي وعدُوكم أولياء» (الممتحنة 1/60) و «لا يتخذ المؤمنون الكافرون» (آل عمران 28/3) و «لا تنسوا الفضل بينكم» (البقرة 237/2) أو دعاء نحو «لا تؤاخذنا» (البقرة 286/2)(1).

مع السين وسوف

السين و "سوف" لا يدخلان الا على "يفعل" ليتحول زمنها الى الاستقبال. قال سيبويه، "اذ قال : سيذهب، فإنه دليل على أنه يكون فيما نستقبل من الزمان(2). أما سوف فهي كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد(3) وهي "للتأخير والتنفيس والأناة(4)، أما أن تكون "سوف" أوسع زمانا من السين نظرا الى أن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى فليس بمطرد(5) والامثلة القرآنية التي نسوقها تبين أن السين وسوف كليهما يدلان على الزمن البعيد والقريب من ذلك قوله تعالى : «سيغلبون في بضع سنين» (الروم 3/30) و «سيعملون غدا من الكذاب الأشر» (القمر 26/54) وقوله عز وجل «سأصيله سقر»(المدثر/26 54)، وقوله «سنسمه علي الخرطوم» (يوسف 98/12) وقوله سبحانه وتعالى: «سوف نصليهم ناراً» (النساء 56/4) و «كلا سوف يعلمون ثم كـلاً

---

1 - الاتقان 171/1.
2 - الكتاب 35/1.
3 - المصدر نفسه 233/4.
4 - معنى اللبيب لابن هشام الانصاري 139/1.
5 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 147/2.

سوف يعملون» (النساء 4/78) و «سوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما» (النساء 146/4).

ونلاحظ أن الأمد يطول ويقصر مع كلا الحرفين وقد ذهب القرطبي الى أن السين قد تقلب الفعل ماضيا وأشاروا الى قوله تعالى : «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم»(1) (البقرة 142/2).

قال : وسيقول بمعنى :قال" جعل المستقبل موضع الماضي دلالة على استدامة ذلك، وأنهم يستقرون على ذلك القول(2). وليس معنى ذلك أن السين فقدت دلالتها في هذا الموضوع، ولكن الذي منح الفعل هذه الدلالة هو السياق، أي أن السياق الذي وردت فيه الآية هو الذي أضفى على الفعل هذه الدلالة الزمنية من ذلك قوله تعالى في سورة سيدنا يوسف، على لسان اخوته «قالوا سنراود عنه أباه وأنا لفاعلون» (يوسف 61/12)، اذ نجد أن "سنراود" فيها دلالة استقبال بالنسبة لزمن القول، ولمنها ماضية بالنسبة لزمن القصّ.

الدلالة الزمنية الذاتية للأفعال الناقصة

رأينا أن الأفعال تدل بمادتها على الحدث وبصيغتها على الزمن لأن الفعل عندهم لفظ يدل على معنى في نفسه، ومعرض ببنيته للزمن(3).

ولما كانت هذه الأفعال تفتقر الى الحدث، وتتمتع بطاقة زمنية مميزة، كانت جديرة بالنظر في دلالتها الزمنية، عندما تكون صيغتها منفردة (كان مثلا) اذ أنها كثيرا ما تنفرد بتحديد جهة زمنية دون أن تقترن بفعل آخر، أي عندما

---

1 - الجامع الأحكام القرآن للقرطبي 147/2 أنظر أيضا كتاب : التطور اللغوي !! رمضان عبدالتواب.

2 - المقرب لابن عصفور 45/1.

3 - أنظر على سبيل المثال : شرح الكافية للرضي 293/2-300.

يكون مبتدأها، وخبرها اسمين. من ذلك كان في قوله تعالى : «كان الناس أمة واحدة» (النساء 213/4) وقوله تعالى : «وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين» (التحريم 10/66) حيث يلاحظ أنها وهي داخلة على الجملة الاسمية تفيد معنى المضي عندما تأتي في سياق سرد الأخبار السالفة على نحو ما تبينه الآيات السابقة كما تفيد الأزل ولا ترتبط بزمن معين في مثل قوله تعالى : «وكان الله غفورا رحيما» (النساء151/4) فمن الواضح أن كان هنا ليس لها زمن محدد : وصفات الله تعالى ليست حادثة، وليس لها أول، وليس لها آخر(1).

ومن ذلك أصبح وأمسى في نحو قوله تعالى : «فاصبح هشيما تذروه الرياح»(المائدة30/5) وقوله عز وجل : «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون»(الروم17/30) وليست لهذه الافعال الاخيرة دلالة مباشرة على الزمن، فهي تدل فقط على استغراق الاصباح والمساء والتحول من حالة الى حالة أخرى(2).

ومن ذلك مادام في قوله تعالى : «ما دامت السموات و الأرض» (هود 170/11) وقوله عز وجل انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ويفهم من كلام الرضى(3).

ان "أمادام" تأتي لتفيد الفعل بقدر ثبوت مصدر خبرها واكتسابه لفاعل ذلك المصدر (أي ثبوت صفة الاجتهاد في زيد في قولنا يصلح زيد ما دام مجتهدا.

---

1 - أنظر على سبيل المثال شرح الكافية للرضي 293/2-300.

2 - الزمن في النحو العربي 83-103 للدكتور كمال بدري.

3 - شرح الكافية للرضي 293/2-300 وللاطلاع على دلالات كان وأخواتها.
أنظر : الكتاب 454 والتسهيل لابن مالك 53 والتعبير الزمني عند النحاة العرب للدكتور عبدالله بوخلخال 115/2-153.

صيغة فعل الأمر "افعل"

يمكن أن نستخرج من تعاريف النحاة لفعل الأمر معنى عاما يجمع بينهما هو "طلب حدوث فعل، أو تركه بصيغة مخصوصة" فاذا كان الأمر صادرا من الأعلى الى من دونه فهو أمر، وان كان من النظير الى النظير، فهو طلب، وان كان من الأدنى للأعلى مقبل له دعاء، وانما اختلفت التسمية لاختلاف المخاطبين بهذه اللفظة. لأنك تستقبح أن تقول : أمرت والدي كما تستقبح سألت غلامي.

أصل الصيغة وزمنها

أدرك النحاة أن تحديد أصل الصيغة يفضي الى طبيعته ودلالته الزمنية. فقد ذهب الكوفيون الى أن ما اصطلح على تسميته بفعل الأمر، ماهو الا مضارع، حذفت منه الدالة (لام الأمر) مستدلين في ذلك على ما ورد في القرآن الكريم في قراءة منسوبة لسيدنا عثمان بن عفان وهي قوله تعالى : «فبذلك فلتفرحوا» (يونس 58/10) وقوله صلى الله عليه وسلم : «ولتقوموا الى مصافكم» يريد حذو مصافكم قال الفراء : "الا أن العرب حذفت اللام من فعل الأمر لكثرة الأمر خاصة في كلامهم، فحذفوا اللام، كما حذفوا التاء من الفعل، وأنت تعلم أن الناصب والجازم لا يقعان الا على الفعل الذي أوله الياء، والتاء، والنون، والألف فلما حذفت التاء ذهبت باللام، وحذفت الألف في قولك «اضرب» و "واخرج" لأن الضاد ساكنة، فلم يستقم أن تستأنف بحرف ساكن، فأدخلوا ألفا يقع بها الابتداء(1).اصطلاح على تسميته بفعل الأمر عند القراء. ما هو الا فعل مضارع حذفت منه التاء لكثرة الاستعمال، أي أن صيغة فعل الأمر لا تختلف من حيث الدلالة عن المضارع في شيئ وانما هي هو لذلك تنسحب عليها الخصائص الزمنية للفعل المضارع وينصرف زمنها للاستقبال.

---

1 - معاني القرآن للفراء 469/1.

فقط على مذهب الكوفين الذين يقسمون الفعل الى ثلاثة أقسام : ماض، ومستقبل وهو المضارع، ودائم هو اسم الفاعل أما االبصريون فهم يرون أن فعل الأمر بناء اشتق من المضارع وذلك بحذف حرف المضارعة من المضارع، واضافة قسم قائم بذاته وانما أصبح دالا على الاستقبال عندهم لأنه "بناء ما لم يقع " على عبارة سيبويه(1)

وسواء أصاب أحد الطرفين أم جانبه الصواب، فان هذه الصيغة قد أبعدها الاستعمال عن طبيعة فعل المضارع واتخذت دلالة خاصة بها. ولعل أبرز ما يميزها عن صيغتي "فعل" و "يفعل" أنهالا تكون إلا للانشاء

زمن الصيغة كما يحدده الاستعمال اللغوي

اختلف النحاة في دلالة فعل الأمر على الزمن، كما اختلف المتفقون على دلالته الزمنية في القسم الزمني الذي يدل عليه.

فخلو صيغة فعل الأمر من الدلالة على الزمن رأى آثاره متأخرو النحويين متبعين في ذلك رأى بعض الأصوليين(2)، لأن الفعل عندهم يتميز بشيئين : أولهما : أنه مقترن بالدلالة علي الزمن، وثانيهما أنه يبني على المسند، اليه، ويحمل عليه، وقد وجد أن بناء "افعل" خلو من هاتين الميزتين(3) وهو رأى يستند على عدم تلبس صيغة فعل الأمر بالفعل الحقيقي وعدم مصاحبة الحدث للفعل. ففعل الأمر عندهم هو طلب موجه للمخاطب للقيام بهذا الفعل فهناك فاصل زمني ومعنوي بين تلفظك بأداة الطلب التي هي فعل الأمر، وبين حدوث الفعل على وجه الحقيقة وهو رأي على الرغم من وجاهته الظاهرية فانه لا يمنعنا

---

1 - حول الخلاف بين البصريين والكوفيين في بناء فعل الأمر انظر الأنصاف للأنباري 2/542-549 وحول دلالة فعل الأمر على الاستقبال انظر المتاب 12/1.

2 - على نحو ما هو مفصل في الفصل الخاص بالنحو عند الأصوليين.

3 - في النحو العربي للدكتور مهدي المخزومي ص120.

من مناقشته من وجوه :

أولهما : أن مسألة مصاحبة الحدث لتلفظ الفعل أمر يحدثه السياق الذي يوجه فيه الخطاب تستوي في ذلك الصيغ الثلاثة، والسياق هذا، ليس من السهل ضبطه أو تحديـــده، أو حتى مجاراته «اذ السياق" سياقات، كل واحد ينضوي تحت سياق آخر ولكل واحد وظيفة لنفسه وهو عضو في سياق أكبر، وفي كل السياقات الأخرى، وله مكانه الخاص"(1)

ثانيهما : أن فعل الأمر، كثيرا ما يأتي مقترنا بالحدث منضويا في الظرف الزمني الذي وقع فيه الحدث من ذلك قوله تعالى : «اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»(يس82/36) وقوله عز وجل : «يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم» (الانبياء 69/21) وقوله تعالى : «فقال لها وللأرض أتينا طوعا، أو كرها قالتا أتينا طائعين»(فصلت11/41). ومن أمثلتنا على ذلك قولك : رأينا الوالد يدفع ابنه الى الداخل قائلا له "ادخل" فليس هناك أوضح من هذه الأمثلة على تحقق الحدث مع الفعل في زمن واحد. على أنه ليس من شأن اللغة -أيـة لغـة- ولا من طبيعتها أن تتابع الحدث، وقع، أم لم يقع، ولعل هذا ما كان يرمي اليه ابن مضاء القرطبي عندما ذهب الى أن الافعال، انما هي افعال الله سبحانه وتعالى وانما تنسب الى الانسان على سبيل المجاز فقط(2)

أي أن تحقق أحداث الافعال خارج عن نطاق الانسان وعن اللغة.

ثالثهمـــا : أن فعل الأمر يأتي بلفظ الخبر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى : «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» (البقرة233/2) و «المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» (البقرة228/2)

---

1 - دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان ترجمة كمال بشر ص61.

2 - الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي : 69-70.

فأين تدرج مثل هذه الصيغ (وهي أمرا) فهل نضعها في قائمة الصيغ الدالة على الحدث لا لشيئ، الا أنها جاءت على صيغة الفعل المضارع.

وكما يأتي الأمر بلفظ الخبر، يأتي الخبر بلفظ الأمر في قوله تعالى : «قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا» (مريم 75/19) أي فيمد، اذ يعتبرها المفسرون فعلا مضارعا جاءت على صيغة الأمر(1) وهذا شاهد آخر يجعلنا نقول مطمئنين إن شكل الصيغة ليس مسئولا عن تجريد الفعل من الحدث، أو هي دلالته الزمنية سواء كان شكلها ماضيا، أم مضارعا، أم أمرا. والدليل على ذلك أن الأمر قد يستغرق الأزمنة الثلاثة في قوله تعالى : «يا أيها النبي اتق الله» (الاحزاب 1/33) اذ جاء "اتق" ههنا حثا على الاستمرار في التقوى ودوامها(2). كما يقول المفسرون ومن الدلالات الزمنية لفعل الأمر.

1 - الدلالة على المستقبل بغير تحديد نحو قوله تعالى : «واقصد في مشيك واغضض من صوتك» (لقمان 19/31) ونحو قولك "استقم".

2 - الدلالة على المستقبل المتجدد نحو قوله تعالى : «كلوا واشربوا حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الاسود» (البقرة 187/228).

3 - المستقبل المتوقع حدوثه قريبا نحو قوله تعالى : «اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك» (النصر 3-1/110).

4 - الدلالة على وقوع حدث أريد أن يتم بصيغة الأمر مثل قوله تعالى : «يا أيها المدثر قم فانذر» (المدثر1/74) وقوله «قلنا اهبطو منها جميعا» (البقرة

---

1 - همع الهوامع للسيوطي 16/1.
2 - البحر المحيط لابن حيان 210/7.

(1)(38/2

وفحوى هذه الدراسة المجملة لزمن فعل الأمر أن زمن "افعل" يحدده السياق والقرائن الزمنية التي تصحبه، شأنه شأن الصيغ الأخرى، فكما أن الصيغتين :فعل" و "يفعل" تدلان على أزمنة نسبيه، وأحداث اعتبارية كما رأينا في مقدمة هذا الفصل فان "افعل" لا تشذ عن هذه الخصائص اليس هو قسيم الفعل المضارع، كما يذهب البصريون؟ بل، أليس هو الفعل المضارع منقوصا منه لام الأمر، كما يرى الكوفيون؟ فلم لا يكون له ما للمضارع من امكانات تعبيرية زمنية وغيرها.

2 - انظر في هذا الموضوع : نتائج الفكر للسهيلي 144-147. والزمن في النحو العربي للدكتور كمال ابراهيم بدري 214-226.

obeikandl.com